9 الدور الذي تلعبه السلطات التقليدية في الحكومة المحلية

مقدمة

تتمتع جميع البلدان في أفريقيا تقريبًا بسلطات تقليدية بشكل أو بآخر. ومن الهياكل الأكثر شيوعًا لمؤسسة القيادة التقليدية، حسب ترتيب القوة والسلطة، الملوك والرؤساء والزعماء ورؤساء القرى. ونظرًا للطريقة التي يتم تنظيمها بها، فإن السلطات التقليدية هي الشكل الأكثر إلحاحًا للحكم في العديد من المناطق الريفية في القارة. حيث تقوم تلك السلطات بأدوار مثل:

- تخصيص/إدارة الأراضي؛
- حل النزاعات؛
- الحفاظ على البيئة؛ و
- تعزيز الثقافة والتراث والحفاظ عليهما.

بمثل هذه الوظائف، يميل الزعماء التقليديون إلى التفاعل مع المواطنين في المناطق الريفية أكثر من مؤسسات الدولة الحديثة. وبالتالي، فإن تعريف اللامركزية في السياق الأفريقي غالبًا ما يتضمن الاعتراف بالدور الذي تلعبه على مستوى الحكومة المحلية.

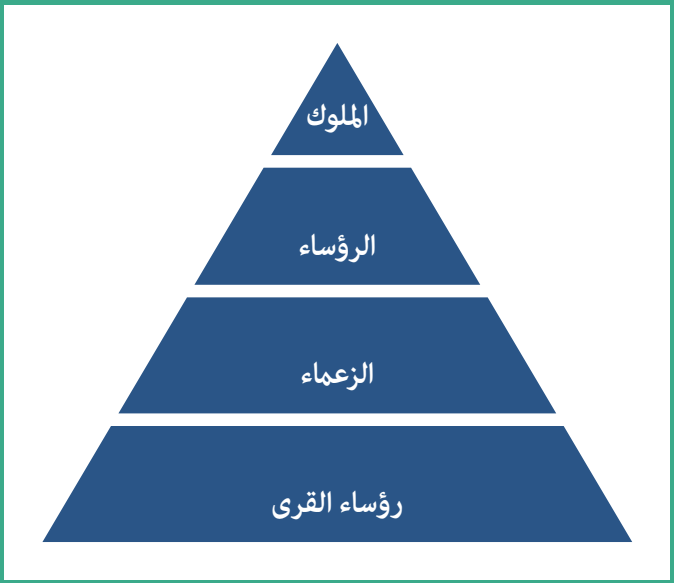

السلطات التقليدية خلال الحكم الاستعماري

وفي أفريقيا، تحولت السلطات التقليدية أثناء الانتقال من مؤسسات الدولة التقليدية إلى مؤسسات الدولة الحديثة وبعد ذلك. قبل الاستعمار، كانت السلطات التقليدية هي هيكل الحكم الوحيد. ومع مجيء الأنظمة الاستعمارية، تغيرت أدوارها وتنوعت بين الأقاليم. أثناء إنشاء مؤسسات الدولة الحديثة، حكمت الإمبراطوريات الاستعمارية الأراضي المحتلة بطرق مختلفة. على سبيل المثال، اعتمد البريطانيون الحكم غير المباشر في بلدان مثل نيجيريا. وشمل ذلك استخدام السلطات التقليدية لحكم المجتمعات المحلية. ومن ناحية أخرى، اعتمد الفرنسيون الحكم المباشر في بلدان مثل السنغال.

حيث قامت الأنظمة الاستعمارية بتعديل مؤسسة القيادة التقليدية وإفسادها. وخوفًا من فقدان السلطة و/أو شراء الأنظمة الاستعمارية، نفذت العديد من السلطات التقليدية سياسات القوى الاستعمارية. ونتيجة لذلك، لم تعد بعض السلطات التقليدية تتمتع بدعم مجتمعاتها عندما حصلت البلدان على الاستقلال. وقد استاءوا بصورة خاصة من حركات التحرير، التي اتهمتهم بالعمل مع الأنظمة الاستعمارية لقمع السكان السود. وهذا يفسر لماذا اختارت حركات التحرير، مثل الاتحاد الوطني الإفريقي الزيمبابوي - الجبهة الوطنية (ZANU-PF)، وجبهة فريليمو في موزمبيق، والتي اكتسبت السلطة السياسية بعد الاستقلال، واختارت في البداية تهميش السلطات التقليدية في البلدان.

الزعماء التقليديون اليوم

ظلّت السلطات التقليدية قوية وذات صلة، خاصة في ظل غياب الدولة الرسمية. وبالتالي فهي بمثابة مراكز سلطة بديلة في العديد من المناطق الريفية. وقد أجبر هذا الوضع غير المريح العديد من الحكومات على جلبهم إلى طاولة الحكم.

UNIVERSITY of the WESTERN CAPE
DULLAH OMAR INSTITUTE FOR CONSTITUTIONAL LAW, GOVERNANCE AND HUMAN RIGHTS
Hanns Seidel Foundation
South African Research Chair in Multilevel Government, Law and Development

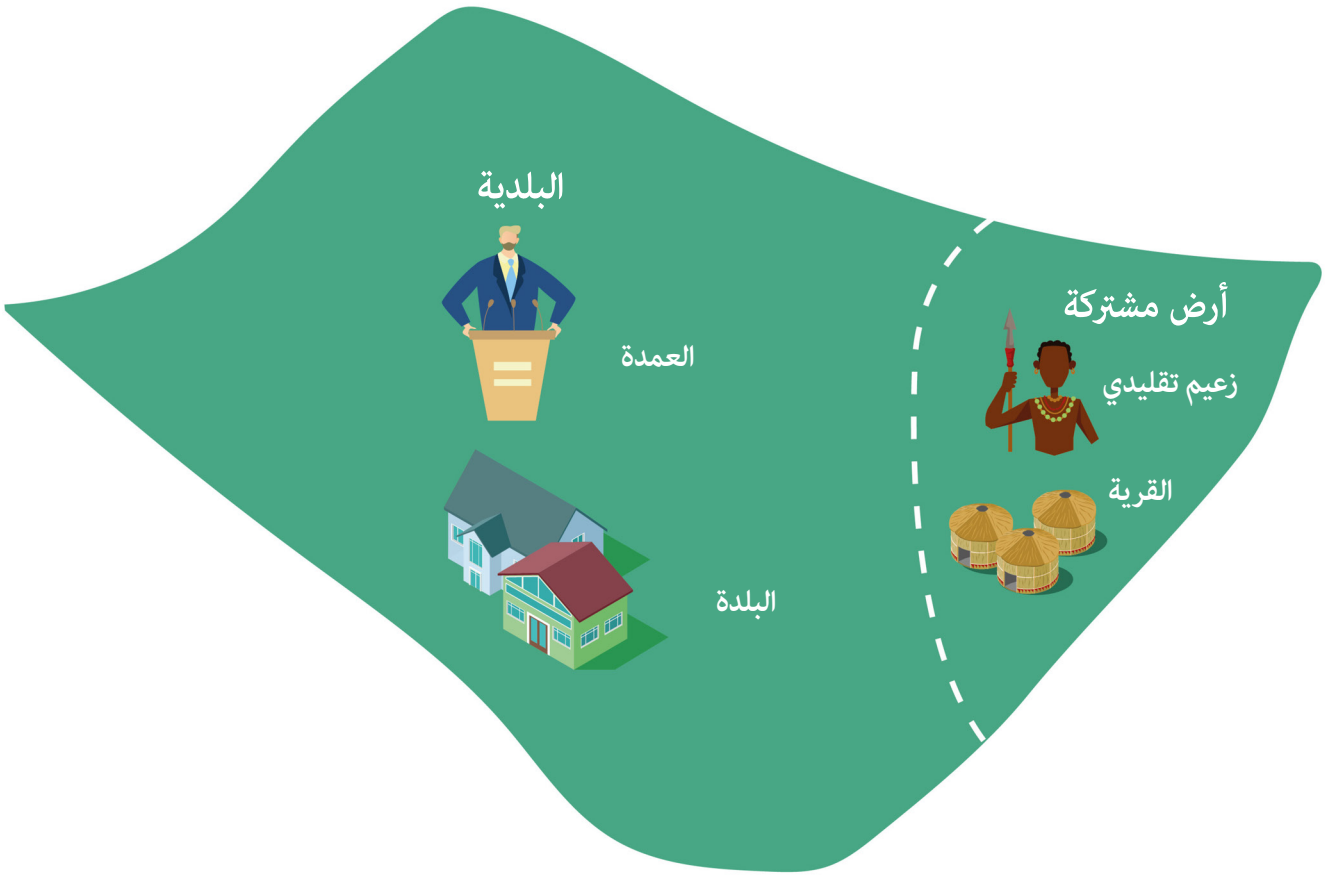

ويظل مدى توافق السلطات التقليدية مع المعايير الديمقراطية الحديثة موضوعًا للنقاش في جميع أنحاء القارة. ويُمثل تعرض تلك السلطات للفساد والميل إلى الاستبداد، فضلًا عن استمرار التهميش الذي تعاني منه المرأة بعض أوجه القلق. ومع ذلك، ما تزال السلطات التقليدية تحظى بالاحترام والتأييد في أجزاء كثيرة من القارة، وقد احتفظت بقدرٍ كبير من الشرعية لأنها تؤدي وظائف الحكم الرئيسية في غياب الدولة الحديثة. وبالتالي، يمكنها أن تلعب دورًا في التنمية وتعزيز السلام، خاصةً في المناطق الريفية. وتستوجب هذه الاعتبارات الاعتراف بها واستيعابها داخل الهياكل الحكومية. لكن السؤال عن كيفية تطبيق ذلك يظل موضوعًا شائكًا.

الاعتراف بالسلطات التقليدية والدور المنوط بها

استوعبت البلدان الدور المنوط بالسلطات التقليدية بشكلٍ مختلف. ففي زامبيا، يتم الاعتراف بالقيادة التقليدية في الدستور، الذي يمنح الزعماء التقليديين أيضًا سلطات التصويت في المجالس المحلية. وفي زيمبابوي، يتم الاعتراف بدورها في الدستور ويعمل مجموعة منتقاة من الزعماء التقليديين كأعضاء بحكم مناصبهم في المجالس المحلية دون أن يتمتعوا بسلطات التصويت. وقد تم اعتماد نهجٍ مماثل في جنوب أفريقيا.

وسواء تم الاعتراف بأدوارهم رسميًا أم لا، فإن الزعماء التقليديين غالبًا ما يواصلون العمل كحلقة وصل مهمة بين البلد، ولا سيما الحكومة المحلية، والمواطنين. فتلك السلطات تقدم خدمات مثل حل النزاعات وإدارة الأراضي وتنسيق مواجهة الكوارث الطبيعية والتصدي لها، وهو ما تفشل الدولة الحديثة في كثيرٍ من الأحيان في تحقيقه بسبب قدرتها المحدودة. باختصار، في غياب الدولة، يصبحون هم الدولة فعليًا.

السلطات التقليدية والحكومة المحلية الديمقراطية

ثمة تنافس عميق على السلطة والموارد في العديد من المقاطعات بين الحكومات المحلية الرسمية والسلطات التقليدية. وقد يكون تخصيص الأراضي وإدارتها هو محور الخلاف الرئيسي. وهذا غالبًا ما يكون نتيجة لعدم وجود تمييز واضح للمسؤوليات بين الهيكلين (الحكومات المحلية الرسمية والسلطات التقليدية). إن غياب الآليات التي من شأنها أن تضمن تعاون الهيكلين يمكن أن يكون سببًا للصراع. ومع ذلك، في بعض الأحيان لا تشعر الحكومات المحلية الرسمية ولا الزعماء التقليديون بالارتياح لوجود "منافس" في اختصاص كل منهم. كما يتقاتل الزعماء التقليديون فيما بينهم من أجل الأرض في سعيهم إلى زيادة نطاق نفوذهم.

إن الزعماء التقليديين هم حاملو الثقافة والتقاليد، ويمكن ممارسة هذا الدور بفعالية أكبر إذا كانوا محايدين سياسيًا. غير أن العديد من الزعماء التقليديين يدعمون علنًا قضية بعض الأحزاب السياسية، ولا سيما الأحزاب الحاكمة في ذلك الوقت. وشأنها شأن أسلافها الاستعماريين، لا تتردد الأنظمة الحاكمة في إفساد القيادات التقليدية واستخدامها لتحقيق أهداف سياسية.

ومما لا شك فيه أن هناك العديد من التحديات المرتبطة بالسلطات التقليدية. ومع ذلك، لا يمكن التخلص من أشكال الحكم التقليدية بالتمني، نظرًا لأهميتها المستمرة في أفريقيا في العصر الحديث. لقد كانت السلطات التقليدية موجودة منذ آلاف السنين ومن المرجح بقاءها لفترة طويلة في المستقبل. وبالتالي، من المهم أن تتضمن قوانين وسياسات اللامركزية سبلًا لاستيعاب الزعماء التقليديين - خاصة على المستوى المحلي - للمساهمة في خدمة المجتمعات المحلية.

UNIVERSITY of the WESTERN CAPE
DULLAH OMAR INSTITUTE FOR CONSTITUTIONAL LAW, GOVERNANCE AND HUMAN RIGHTS
Hanns Seidel Foundation
South African Research Chair in Multilevel Government, Law and Development